ويرى أكثر قراء دي سوسير تحقيقا أنّه بنى انطلاقا من هذا المفهوم فرضياته العامّة الأساسيّة

5.7 - الأهميّة المعرفيّة لمفهوم القيمة

وقبل أن نستعرض هذه الفرضيات نودّ أن نوضح الأهميّة المعرفيّة أو الابستمولوجيّة لمفهوم القيمة.

نذكّر أن أصحاب النحو المقارن وخاصّة مدرسة النحاة [1] الجدد قالوا إنّ الدراسة العلميّة الوحيدة للّغة هي الدراسة التاريخيّة يقول هرمان بول: «بمجرّد أن يتجاوز الباحث ملاحظة الظواهر الخاصّة وبمجرّد أن يحاول إدراك العلاقات وأن يفهم الظواهر فإنّه يدخل في ميدان التاريخ».

وإذا تأملنا قول هـ. بول انتبهنا إلى أنّه يحصر الدراسة العلميّة للّغة في جانبها التاريخي لأنّه المجال الّذي يمكن للباحث أن يحدّد ضمنه العلاقات. والعلاقات [المجرّدة] الّتي تمثل القوانين الصوتيّة نموذجا منها هي مطلب كلّ علم.

وإذا توسّعنا في تعليل ضمنيّات قوله كان وصف الألسنة عنده من باب الظواهر الخاصّة الّتي لا تجمع بينها علاقات بحيث يمكن أن يتّخذها الباحث موضوع علم. وهذا الاستنتاج ليس غريبا فمن المعروف أن أصحاب النحو المقارن اعتبروا أن العناصر اللّغويّة منعزل بعضها عن بعض. وعلى أساس ما قلنا نفهم أهمية قول دي سوسير إن مفهوم القيمة أساسي لفهم طبيعة الوحدات اللّغويّة وأن اللّغة نظام من القيم. إن هذا القول يشرّع معرفيّا لاتخاذ وصف الألسنة حال اشتغالها موضوع علم تماما كما شرّعت فرضيات النحو المقارن لاتخاذ المقارنة بين الألسنة ووصف تطوّرها موضوع علم عام.

وقد كان مفهوم القيمة أساس تمييزه الشهير في الظاهرة اللّغويّة بين الآنية والزمانية وإعطاء الأولويّة المعرفيّة للأولى. ولمّا كانت شهرة هذا التمييز تُغْنِينَا عن التّوسّع فيه فسنكتفي بالإحالة على ما يفيد اعتماده على مفهوم القيمة حسب ما زعمنا : يقول: «ما يدفعنا إلي تقسيم اللسانيات إلي قسمين لكلّ منهما مبادئه

---

1 انظر الهامش السابق رقم 121